وثائق تاريخية عن حلب

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

(تابع)

واقعة الشام في ٤ تموز غربي سنة ١٨٦٠ [1]

«لا بد تكون واجد عليّ يوم تخبيري اياك الحوادث ولا سيما انك طلبت مني ذلك مرارًا بالقلم وبواسطة قول آخرين في عفه من انك تعلم يا عزيزي انني بكل نفس ذايقة الموت حررت لك الجرنال الاول بحوادث الجبل ولما اتصل الامر الى الشام فصرت بالطبع كواحد منهم وزيد ان هذه الحوادث اذهلت عقلي وجلبت الى راسي الماليخوليا وناهيك عطل الاوقات وما نحن به فالنهاية وجدت عدم رضاك مني هو مصيبة كبرى ايضاً فتجالدت كل الجلد لكني احرر لك ما يمكني واتقدم بالرجاء ايضاً ان تعذرني بعدم ترتيب الشرح ونظامه وتوقيعه بعباراته وارض مني وان يكن شي لا يرضيك .

اواه يا اسفي عليكي يا شام وعلى اهلك المسيحيين المنكود حظهم فانه

---

١) ليس في الوثائق التي ننشرها عن دفتر اخوية العزيان ذكر لحوادث السنين المشؤومة التي جرت في دمشق وفي زحلة ودير القمر . وليس لها اثر في تاريخ كامل الغزي ولا في تاريخ راغب الطباخ وكانت حلب في تلك السنة لم تزل تعالج نصفية باقي ما احدثته كارثة الخمسين التي ذكرناها سابقاً فخلد فيها الناس الى السكينة . على ان الخوف اعترى المسيحيين الحلبيين لما كان يبلغهم من الاخبار عن مراسليهم . وقد عثرنا في بيت من بيوت اعيان المسيحيين في حلب على رسالة مطولة وعنوانها : واقعة الشام في ٤ تموز غربي سنة ١٨٦٠ كتبت في ٢٥ صفحة من مجموعة مخطوطة طولها ١٣ سنتيمترًا وعرضها ١٠ وهي نسخة لاصل كتب على ما يظهر في بيروت . ولعل صاحبها من تراجمة القنصليات ويظهر من انشائه واملائه انه غير متضلع من العربية لكنه يسرد الاخبار عن ادراك وبصيرة . واذ ان الوثيقة موجودة في حلب ومن المحتمل انها كتبت واوصلت الى حلب . وظلت مكتومة الى اليوم رأينا في نشرها فوائد اخصها الاعراب عن معرفة الجميل نحو المسلمين الصالحين الذين حاموا عن جيرانهم المسيحيين واحسنوا الى المنكوبين والتحقيق عن الذين تقع عليهم تهمة الفظائع وقد جرت بمكيدة الاتراك . ثم ان في هذه الآثار مادة لبناء تاريخ الاستقلال

العـادل يجعل مراحمه بعيدة عنك ويجعل يومك اشر من صادوم وعامورة .

قطع العلاقات بين الباشا والقناصل

ان مسيحيين الشام من حين حركة الجبل وهم في شدة المخاوف من اسلام بلدتهم وذلك لما ناظر لهم من سفاهتهم عليهم الغير معتادين عليها منذ سنين عديدة وكلما كانت احوال الجبل تتزايد عكساً على مضادته كانت احوالهم بشأنه ذلك حتى الجأتهم الضرورة ان يلازموا بيوتهم نحو اربعون يوماً متجنبين المخالطة مع الاسلام بالاسواق والاشغال الا ما كان تحوج اليه الضرورة جداً وكانت التنبيهات في الكنائس مستديمة عليهم لقطع كل سبب واحتمال كل امر . وكانوا خائفين جداً جداً من حركة تحدث بعيد الاضحى واستدعوا

السوري واللبناني فانه لم يولد الا بعد الارجاع والمخاض وكان بدؤه في تلك الايام المصيبة ولا بد لفهم غاية الادراك من اضرام نار الفتنة والقضاء على العنصر المسيحي بالفناء من ان تتذكر كيف انسلخت عن الامبراطورية العثمانية اقاليمها الغربية فانفصلت واستقلت ومنها دول البلقان . ولما كان العنصر الوطني المسيحي هو الذي عمَّ غالباً واشتعل بالشعلة الوطنية الاصيلة في بلاد البلقان خافت الدولة من امثال تلك الشعلة في سورية ولبنان مع كون اهلها المسيحيين قط لم يتسلحوا عليها بالعصيان فظنت جهم السوء وفكرت انها تقطع الشر من اصله اذا ما لم تبق في البلاد الا على العنصر الاسلامي . ولكن جاءت نتيجة سياستها على خلاف المطلوب فكما ان الفتن آل امرها في البلقان الى تحرير دولها وجمع شتات اهلها وعناصرها من مسيحيين ومسلمين تحت لواء الوطنية القومية كذلك جرى في بلادنا اذ ان الجامعات المختلفي المذاهب التوحدي اللغة والمصالح بعد ان فهموا ما كاد لهم الاتراك من المكايد ليسلكوا على الاعناق انتبهوا من غفلتهم واصبحوا يتآخرون على حفظ بلادهم واستقلالها من كل غير اجنبي وتحررت سورية ولبنان كما تحررت بلاد رومانية وبلغارية وبيوسلافيا واليونان . . . من نير بني عثمان بسوء سياسة بني عثمان وتقسيمهم بين الرعايا فآل الامر جهم الى توحيد صفوف الرعايا عليهم وخلع نيرهم . والنتيجة من ثم ان الاستقلال الذي تتمتع به مرهون دوامه بدوام الاتفاق والاتحاد بيننا ، على اختلاف عناصرنا ومشاربنا ، وكفى بهذه العبرة مبرراً لما نذكره بالاسف عن حوادث الشام المؤلمة . ونحن نرويها على علاتها كما هي في المتن المخطوط لكننا قسمناها بنوداً وعنوناها بقائمتنا . (راجع في هذه المادة ما نشره الاب شيخو عن شاهد عيان في المشرق ١٩٢٦ ص ١ ٨ وبعدها : نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام (١٨٦٠-١٨٦٢) وراجع ايضاً في المكتبة الظاهرية في دمشق مخطوطة [عام ٦٦٦٨ ع] حادثة الستين للحسبي .

محافظين من الحكومة الى ضيافتهم فأسعفتهم بذلك ونزل للحارة محافظ ومعه نفر ٥٠٠ ومضى العيد على سلامة ولكن قد تكلفوا الى مبالغ نقدية بشان ذلك بالفترة الى ان والي الشام احمد باشا الذي عليه ايضاً رتبة السر عسكر سيريا كانت احكامه بغاية النظام بأولها والنصارة كانوا بكل محظوظية منه مع القناصل للغاية جداً جداً وبعد واقعة الجبل تغير وكان التغيير عظيم من الشيء الى ضده فكانو القناصل لمدة هذا الخوف يستدعو منه التأمين عليهم وعلى النصارى رسمياً فكان يحاولهم مشافهة ان بالوقت الحاضر هم في امان وبعده لا يعرف حتى انقطعت بينه وبين غالب القناصل المواصلات الرسمية وكلهم قد اختاروا يورغاكي سبرطلي قنصل الاروام ان يقابله بالمواصلات الرسمية عن العموم فشاهة الاسلام بلغة اعلامها حتى صارت اولادهم يرسمو الصابان بالازقة والاسواق وعلى الحيطان ويهينوها بكل اصناف الهوان وكذا صادفوا مسيحي في الطريق مارزاً يجبروا ان يفعل نظيرهم وكانوا يعملوا الصابان ويعلقوها في ارقاب الكلاب ويسموهم بتبارك ومطارنة وخوارنة لكل كلب اسم وكذلك كانوا يسموا الكلاب باسم حضرات القناصل واكابر النصارة ويغنوا بهذه الغنية :

يا بطرس بشر نخله والدروز اخدوا زحله
مد رقبتك يا نصراني واحسبها قرمة نخله .

وكل هذا تحتمله النصارة ولا تبدي شيء وهي صامتة ورداياً ليل ونهار يطرقو الابواب عليهم ويطلبو اكل وشرب ومشروبات وخرجية وياخدو كل ما يريدوه والحكم مهاون منهم .

رضا باشا بيروت كان قاعد بالحازمية يطلعوا لعنده القناصل ويحاولهم وبالضد وهم لا ياخدوا من رايه خير بقي بهذا المحل والدروز طمعانه بنفسه حتى خرب الجبل جميعه وكانت نيته على كسروان ايضاً لكن ما توفق له خرابه حيث دارك الوقت . الغاية دخل يوم الاثنين في ٩ تموز سنة ٦٠ فنوعاً ما ضجرت النصارة من قعدة البيوت ونزلت غالبها الى المدينة لاجل تقضي اشغال ضرورية .

بدء الفتنة

فالساعة الثالثة تكاثرت اولاد وشباب الاسلام بالاسواق وعلمهم تزايد جدًا عن ما تقدم ذكره فمر التفنكجي باشي وصار يتهددهم ويحمي الصلبان ويمر من هذا السوق لغيره يجد الحال عمال يتزايد فعند ذلك قبض على نفر ٦ وارسلهم للصراية ووضع الحديد بأرجلهم وارسلهم مع خمسة نفر ظبطية يكنسو بأزقة المدينة ولما وصلو لباب البريد كانت نحو الساعة السابعة فصرخ بعضهم يا سيدي الحجي مدد يحيى وكان ذلك امام جامع الامري يا علم الشرف مدد مدد الله الله مات دين الاسلام الحديد بارجلنا والمكانس بايدينا ورايحين نكنس بحارة النصارة الكفار الله الله مات دين الاسلام وقام دين الكفار فلما سمعوا اهالي السوق قاموا وقالوا الله الله على الكفار يا عزة الدين وقفلوا دكاكينهم واخذوا الاولاد من الظبطية وهجموا على حارة النصارة وابتدت جماهير الاسلام تتراكد بالاسلحة والفاسات وغيره فلما وصلوا الى منافذ الحارة وقفت امامهم كراكونات العسكر ووقع الضرب فقتل من اولاد البلد ثلاثة انفار وفيما هم بهذا الحال واذ حضر من الصراية مدفع طوبجية ووصل لحد كنيسة الروم واوقفوه على سفله وضربو مدفع بارود بالعالي فعند ذلك نهبت البارود سفايل السوق التي هي من قش وحصر ورجع المدفع حالًا لمحله وضربه النفير العسكري واذ العسكر الموجود الجميع التم وسند يواريده على بعضها. ورجع مع اسلام البلدة بالنهب والضرب بكل قساوة فلازم هنا تفهم جملة مبادي :

من المسؤول ؟

اولًا : اعيان البلد الموظفين بالمجالس وغيرها ترجهوا لسند الباشا وقالوا له قم بنا نطفي هذا الشر فلم قبل والمفتي والقاضي قالوا نعطيك اعلام شرعي وفتوى ان تضرب المتعدي ورد الجواب علينا فما قبل ولا تحرك .

ثانيًا : ان العسكر وقف منه في اول منافذ الحارة في كل منفذ كم نفر

وحين هجوم الاسلام على حارة النصارة فكانوا يتركوا التسليح يدخل والذي بغير سلاح كانوا يقولو له روح تسلح سلاحك وتعال .

ثالثا : ان اول من دخل الحارة كانوا الاكابر من افندية واغاوات وتجار ودكنجية ومن كل طاقم .

رابعاً : انه بنصف ساعة انوجد في حارة النصارة ما ينيف عن خمسة وثلاثون الف نفر وحالا اول هجومهم كانت على محلات طائفة الروم لانهم الوجه في الحارة فكانوا ينهبوا البيت ويرموا به الحريق حالا الرجال الذين في الاسواق انقطعوا وتراكدوا الى الخانات والقلعة وبعض بيوت اسلام واليهود احضروا الاسلام بالحارة ليسقوهم شرابات الثلج والبعض يدعوا لهم نصراء كثيرين من النصارة في الساعة المؤهلة تشتتوا ووصلوا لحارة اليهود واما الذي كان يصل لهناك لم يخلص . . . النصارة الذين في الحارات لما شاهدوا ان الاسلام من بعد نهبته البيت يحرقونه فكانوا يفروا هرباً من السطوح اما يتخبوا بالاقبية او بالابيار واما النساء والبنات تتراكد حقايا مهتوكات بحالة تذهل العقول وكانوا يلاحقونهم ويشلحونهم بالاسواق ووجد جماعة كثيرين يجمعوا النساء ببيوت مختصة بالاسلام واما الاكراد مع اهل البلد يأخذوا كل حسناء من بنت ومره واولاد وهذا في اول يوم لم صار فيه سبي ولا قتل سوى نحو مايتين نفر وصارة الكاثوليك تأمل انه لازم الحكم بتلافا الامور والقناصلة تعمل شغل اطرافها وكان ليلا مهولا يا لطيف قلنا ان غالب رجال الروم ونساءهم خلصو والذي توقع ليلا شيء مهول وبه صار القتل المريع والفسق الشنيع والسبي للعشائر وكان دخانه ولهيب النار يضاعف الوفا عن لهيب اتون بابل حتى على نظر نوره حضروا بذات الليل وثاني يوم جميع اهل الضيع المجاورة الى الشام من مسافة ساعة الى ثلاثة ايام لناحية المزاريب وثاني كنت تنظر نحو مايتين الف بحارة النصارة لاجل النهبة والقتل والسبي وخطف البنات والاولاد وذلك من اسلام البلد والعربان وبعض الدروز ثم اشتد القتل جداً بسبب المحاماة عن السبي للبنات لحسنى او خطفهم مع قتل الاولاد ورمي الاطفال ضمن لهيب النار وبعد نهبة الكنائس رموا بهم الحريق مع مدرسة البنات والاولاد ودار البطركخانه

وكونسلاتو روسيا وقتل بها خليل حنا شحاده الترجمان . الغاية دام الحريق والقتل والسبي مع النهب الى نهار الجمعة مساء الذي فيه هاجوا وادمروا كثيراً حيث لربما يكون ينيف عن اربعة الاف وخمسماية نفس مقتول ومحروق وقد دام عملهم هذا احدى عشر يوم بلياليها والنار في الحارات متقدة ولما نظروا ان بعض الحيطانه والبيوت ما اخربها الحريق جداً وانه يمكن قيامها فاخترعوا طريقة الهدم وصاروا يهدموا والنتيجة انهم ابقوا الحارات جميعها مقدار الفين وتسعماية دار ككوم رماد وتراب والبلاط قلعوه والمياه غوروها وعطلوا مجاريها الحدايد التي بقيت اخذوها جملة الكنائس عدد ١٣ بطركخانه عدد ٢ ثم قلايات ارمن وسريان وافرنج عدد ٥ خلعوا ارض الحارة جميعها وفتحوها لاجلها اخذوا الطاير منها واذا عاد النصراني للحارة لم عاد يعرف اين كان بيته مطلقاً حيث كتفصيل الجزار واتقن وهكذا قد تفننوا بالسبي وهتك العرض ان دخلوا خمسين على بيت فلاكثر بفسق بعرض الموجودين به وان تركوهم ولم اخذوهم يضاً يدخل خلافهم حتى الكثيرين من نسا الذين بنات ماتو وقتل ستة وثلاثين خوري من عندنا اولاد بلد وغربيه . وجل تاجر اسمه محمود ركاب مع ولده من التجار الملاح قتل الخوري مخائيل الفرا بعد ان اخذ منه قيمة دمه خمسين الف غرش قتله في داره على البحرة وهكذا الباقي وماذا عسى اشرح لكم عن ذلك فتصوروا بفكركم مهما قدرتم واظن لا تصلوا قيراط مما توقع وان اكتب عاماً كله كاملاً لم استوفي كلما توقع بالشرح التفاصيل من اول يوم جميعهم سلموا واختفوا في بيت مولاي عبد القادر المغربي وتفصل الانكليز وحده الذي كان يتخطر بالاسواق وما عنده وهم بشي . كونسلاتو فرنسا وبروسيا لم يحترقوا لكونهم بسلف جارة اسلام كونسلاتو روسيا يونان اميركا بلجيكا اولاند وغيرهم لم يبقى لهم اثر .

عبد القادر الجزائري

مولاي عبد القادر كان عنده ستماية مغربي حاضرة وصار يرسلها من اول ساعة الشي للحارة تجيب كلمن عثرة به من النصارى رجال ونساء واولاد وكان المغربي يشهر سلاحه ويقط امام خمسين ولا احد يقدر ان ينظر اليه وتكاثرة

المغاربة عنده لحد الف وحماية نفر وهذا هو عملهم وهو قاعد على سجادة على باب داره يطمن ويأمن الوافدين اليه وكلما وفدة اليه وفدة يعطي البخشيش لجالبها من ليرة الى خمس ليرات وكلما كثر المدد عنده يرسله منه مع اتباعه الى القلعة موضع داير القلعة من عنده حراس مغاربة ، كان في اول ساعة الشر هجم بن معه على القلعة واخذو نحو الف بارودة صلدات وفرقهم على جماعته .

فثاني يوم الحاكم ارسل عسكر يجمع اين من وجده من النصاره بالخانات وغيرها ويحضرهم للقلعة فكانوا اذ فرضنا عشرين عسكري يجيبوا للقلعة عشرة نصارة يصالو خمسة لباب القلعة والخمسة تعلقوا بهم الاسلام من بين ايادي العسكر ومغربي واحد يجيب خمسين نصراني ولا احد يتعارضهم ابداً ولا فعل .

اهل الميدانه

اهل الميدان الذين حمو نصارة الميدان من كل ضرر وامنوهم وكانوا الاغاوات يحاموا ايضاً عن نصارة البلدة واي من وجد يأخذوه لعندهم بالحفظ والتأمين ويبقى عندهم بكل رفاهية وكانوا يحضرو القلعة ايضاً يطلبوا بعض اصحابهم وينادوا منادات خصوصية من يريد ان يزورهم فهو يجئ من انفسهم وكثيرين راحوا لعندهم وعاشو برفاهية وفيما هم كذلك نزلوا الدروز لبوابة الله بالميدان وطلبوا ان يتسلموا النصارة الموجودين بها تيتلوهم فطامو اغاوات الميدان ومعهم نحو الف شب خيالة وقرابه وقالوا لهم انه غير ممكن تسليم هولاي لانهم في عهدهم وذمتهم ويفدوا ارواحهم امامهم فلجو الدروز بالتسليح عند ذلك تظاهروا الميادنه اكثر وانفرد خيالة ورجمة للميدان لتطرح الصوت فالدروز لحظوا ورجعوا بشهامتهم ونزلوا البلد من محلة اخر وبدو يوشو اسلام البلد ان تطلب النصارة الذين بالميدان فتحركو المذكورين لهذا الطلب فوجدو ان هذا الحرف لا يتقري فسكتوا .

في القلعة

القلعة اجتمع فيها الف ١٣ فوق بعضهم مثل كبس الزيتون حفـاة عراة مكشوفين الروس لان ما وصل للقلعة احد الا وهو عريان ان كان ذكر او انثى فالحكومة وقبت جراية لهم كل يوم رغيف ونصف ونصف خيارة وشقفة جبنه لا غير .

كثيرين من النصارة اختبوا في بيوت الاسلام معارف واصدقاء وغالبهم البعض قتلوهم والبعض طردوهم خارج الدار حيثما كان الجزار واقفاً متحضراً للذبح وبعضهم استسلموهم ليقتلوهم فاسلموا وسلم وبعضهم من حفظ النصارى حباً لله وبعضهم حباً بسلامة العاقبة وبعضهم كان حامي الذي عنـده ويغيب ويحضر ويقول لهم ذبحـت كذا وكذا من الكفرة ونهبت كذا وكذا وفضحت كذا وكذا واما انتم لا تخافوا في ذمامي الغاية كانت بانواع مختلفة سلامة من سلم منهم كثير من البنات الذين تزوجوهم خلا عبارة السبي الكثيرة العدد من المائة واحد الذي شاف اعياله اول يوم والباقي من بعد يوم ويومين الى عشرة وخمسة عشر يوم وهولاي يا لطيف كانوا بالسبي الظوري وكما يقولو البعض من الاشوام لا بل من غالبهم ان جنس النسا من المائة واحدة لم تسلم من هذا العارض حتى ان كثيرين من البنات ماتو من توسيع الجرح في بكارتهم . وما كفي حضرة الاسلام بافعالهم حتى انهم صارو يحضرو للقلعة متمسكنين وبايديهم محارم او قفف من الفواكه يطرحوا ذلك امـام الموجودين بالقلعة وهولائك من عظم الجوع وحباً بالاولاد كثيراً كروا ويتهاجموا على الفواكه حتى يطو بعضهم بعضاً محتسبين ذلك اكرم الجواهر الثمينة ومن بعـد ذلك يدخلوا ايضاً الاسلام للقلعة نعم بلا سلاح لانهم متمسكنين ويدوروا يتفرجوا على هذه المناظر المتنوعة الاشكال وخاصة الحريم الذين منهم المقصومين الاذان لاجل الحلق الذي كان باذنهم وبعض مقطعين الاصابـع لاخذ الخواتم وبعض منهم مقطوعي المفاصل لاجل اساورهم ولكن هولاي ليس كثيرين جداً حيث يوجد من كل شكل ثلاثون للاربعون الغاية في افتقادهم هولا النسا والبنات جيداً يعلو وسائط ان يفهمو اسامهم وعيال من هم وهل رجلهم معهم او لا

او الاخ ام الابن وهلم جرًا فمن بعد معرفتهم يروحو ومن ثم بعد ساعتين يحضرو بازيا. مختلفة اكابراليه وفي دخولهم للقامة يصرخوا للحرمة فلانة حرمة فلان بنت فلان ام فلان اخت فلان تعالي فتلك بالحال تحضر فيقول لهم يسلم عليك زوجك او ابوك او ابنك او اخوك وهو بالصحة والامن عندي بكل رغد وباله عليك ولي يومين افحص عنك له وهولاكي كان بالف خير يريد تحضري حالًا لعنده ليرتاح باله من تحوك وباعث لك هذا الايزار او القطا ويعطيها اياه فتلك التي تسمع هذا الكلام تطير فرحًا حيث لم تصدق ان هذا الانسان بالحياة فتروح هذه مع هذا الماكر الذي يستعملها من يوم الى عشرة هو ورفاقه ويرجعها بعد ذلك الى القلعة مع غيره ليوصلها حيث باب القامة مفتوح وهذا بعد ان تكون اكلت باول مرة او لم يصيبها ذلك اولًا فتقع بهذه الحيلة هذا وبعض الحسناء لم يرجعوا ابدًا ماذا عسى اشرح اي عقل وطبع بشري يحتمل ذلك واي قلب لا يلوي ودمعة لا تنشف على هذا المصاب الجسيم قد شبهت الاقطاط من اكل القلفات لم تجد ضيعة خالية من بنات الشام ونسائها خطفًا.

بيت الحصي

رجل يدعى انطون حمصي بنى دارًا وتكلف على قاعتها واحدة الف ٧٠ غلا كلفة الدار وحده فتصوروا اي قاعة دار هي ويوم السبت خرجت منها المعلونة الذين كانوا يشتغلوا بفرشها ويوم الاحد قفلها صاحبها بناء انه يوم الاثنين ينتقل اليها فنهار الاثنين هي اشتعلت دفعة واحدة هذا الانسان مع اولاده عندنا الآن الغاية وعلى ذلك قيس.

فؤاد باشا في بيروت

بعد خبر الشام بكم يوم حضر لهنا[1] دولتلو فؤاد باشا وزير الخارجية المعظم وكان حضوره لمسئلة الجبل فقط واذ هو بازمير بلغه هذا الخبر ومن بعد ان اقام هنا ايام قلائل توجه للشام لكن قبل توجهه ارسل استدعى احمد اغا الذي

(١) الى بيروت ، مما يدل على ان المحرر كتب فيها رسالته.

كان مشير الشام فحضر وحالاً اخذ نيشانه وسيفه وارسله للاستانة بالترسيم وكذلك ارسله خورشيد اغا والي بيروت تحت الترسيم كذلك مسك كاخية هذا واحد افندي ناظر الاملاك وضباط العساكر في دير القمر وحالاً وضعهم تحت الترسيم . ووضع باشا موقتاً مصطفى باشا اميرال البحر واعلم جمهور القناصل واستدعى طوبيا مطران الموارنة ببيروت واتمم عليه في نيشان احمر وازاروه القناصل واحسن ملتقاهم .

فؤاد باشا في دمشق

ومن ثم توجه الشام مع السر عسكر سوياً بعد جلوسهم نصف ساعة بالسرايا قاموا دولته والسر عسكر والمشير الجديد مصر باشا وتوجهوا الى حارة النصارة وبعد ان شاهد بكى وبكوا معاه . ثم عاد راجعاً الى القلعة وبحال دخوله وجد النساء والبنات صفوف على الجانبين والاولاد امامهم والرجال خلف الكل والكل ضاجين ببكا وعويل مذيب قلوب الحجرية فلما شاهد هذه الصفوف تهاطلة الدموع ونادبة ما جرى بها من القتل والسبي والخطف للبنات مع حريق اطفالهم فابتدى يبكي ولم يمكنه يستقيم وتمشى لحد اخر القلعة حيث اعد بالطرف الاخير مقعد لجلوس من يحضر من طرف الميري وهناك جلس ووقف امام دولته كم واحد من كهنة ومعتبر من طوائف النصارى وبعد ان جلس قال انا اعرف ان مصيبتكم كبيرة جداً وجروحاتكم بليغة واهانتكم قوية لكن هذا كله صار ليس لكم فقط بل للدولة العلية ولهذا ارسلني سعادته لكي اعطي المراهم اللازمة لهذا الجرح العظيم وانشاء الله اتمم ذلك واكثر من هذا لم اقدر اكلمكم لان قلبي حزين جداً وصدري ضيق على ما اعتراكم وشاهدته من احوالكم ولكن الله ينظر وبدا ان يبكي ثانية وقام راجعاً وبعد ان رجع ونزل السلالم وتمشى بين الصفوف تعلقته امرأة بحالة يرثى لها وطفقت تصيح وتبكي وتقول امان افندم زوجي واولادي شباب وابنتي ضبية عدمت الكل وكنت غنية اصبحت فقيرة وتبكي جداً فعند ذلك ضج دولته بالبكا ولم يقدر يكلمها بل قال لها اصبري اصبري واومأ بيده اليها

وتوجه الى السرايا وبعد وصوله لم يقرأ فرمان ولا شيء بل حالاً جمع جمهوراً كبيراً من اعيان واجرى معهم المحادثة الاتية :

« العثملي اذا وبر »[1] .

يا اهل الشام انا مرسل من طرف جلالته مولاي السلطان مفوضاً ومن ثم مرخصاً بابطال وخرق العوائد وبكل شيء وانتم بفمالكم هذا قد اهنتم جلالة السلطان ودين الاسلام يا اهل الشام جلالته يطلب مني اعرض لمسدته حقيقة كل شيء واسبابه وتوقيعه فاقمالكم هذه بالاصارى على اي مذهب فعلتوها اي مذهب وشريعة حلل لكم هذه الفواحش فسكتوا فقال لا ارضي بالسكوت بل اريد اسمع الجواب بصوت حي . اعلى مذهب وشريعة الدروز . لا افندم . اعلى مذهب النصارى . لا افندم . اعلى مذهب المجوس لا افندم العلكم فعلتم هذه القبائح والفواحش على مذهب عبدة الاصنام والشمس والقمر لا افندم فاذاً كيف اعرض لجلالته كيف اقول لمظمته ما قد عرفت ماذا احرر واعرض لسيدته ساحرر ان اهل الشام فعلوا هذا العمل وارتكبوا هذه الفواحش الواهية على المذهب الجديد الذي اخترعوه لانفسهم على الشريعة الجديدة التي ترتبوها لذواتهم نعم نعم نعم هذا هو الحق وهكذا ينبغي لي ان اعرض الدولة العلية التي اهنتموها في العالم . يا اهل الشام ان الدول العظام في اوقات الحروب اذا سمحت باليغا تسمح بها ساعة ٣ ومعظمه ساعة ٢ فانتم يا اهل الشام فعلتم ذلك خمسة عشر يوم مع لياليها ما ابقيتم لا على الدين ولا على الدم ولا على العرض ولا على المال فقد هتكتم الاربعة اسرار التي كل الشرائع تامر بحفظها وتنهي عن هتكها . بماذا اذنبوا معكم وامنكم النصارة اي حق لكم لو

---

(١) هذا المثل كان سائراً بين الناس على عهد بني عثمان في بلادنا وان حكمهم فينا دخل في خبر كان ولكن التاريخ ديوان العبر كما يقول ابن خلدون وفي قراءته يستفيد المثالف من حوادث السلف . وقد رأينا ان نروي ما جاء عن وزير الخارجية العثماني ودهائه في تلك الظروف الحالكة وكيف توصل وهو التركي الى اطفاء الحريق الذي اضرم الاتراك ناره . وان الاخبار لمحزنة مؤلمة لكن عبرها مفيدة لنا اجمعين مسيحي ومسلمي سورية وخلاصتها اما ان نرضى لبعضنا بحسن الجوار والاتفاق والمحبة والا فيدخل بيننا شيطان التفريق كما دخل آنذاك مما آل امره الى الخراب ولا حول ولا قوة الا بالله !

كانوا مذنبين ان تفعلوا معهم هذه الافعال اي سلطة لكم لهكذا افعال اي اوامر عندكم من السلطنة السنية بكذا فعلتوه انتم الذين وطيتم شرف دين الاسلام واثبتم [كذا] لانفسكم

امان افندم لا تظلمنا لا ذنب لنا نحن لان الذي جرى هو من الجهال. لماذا عقلاكم لم تمنعهم . لم يسمعونا. هذا محال لو لم تكونوا انتم الاصل والسبب لما تجاسروا هم بمثل ذلك لا تظلمنا افندم لم يكن لنا اختلاط والقليل منا من الجهال عمل ذلك والكثير من الدروز والعربان والاكراد وغيرهم هذا محال لان اولئك ما لهم دخل هكذا في مثل هذه المدينة وقد يظهر لي ان حضورهم واشراكهم معكم هو تحت رابطة التي طالما سهرتم عليها ليالي واصرفتم اوقات حتى ربطتوها ولولا انكم تفتحوا الابواب لما تدخل هكذا اغراب الستم انتم يا اهل الشام الذي ابتديتم اولاً . جاوبوني نعم افندم بعض الجهال لا لا كل الجهلا والعاقلين وسوف كله يظهر للوجود يا مجوس يا يزيد ولاحلال ابر بعقد مجلس ولكن لا قهوة ولا دخان وكان يوجه عبوس وبغضب شديد جداً وطلب منهم المنهوبات والمسلوبات وان بده يعرف اسامي المذنبين والمشتركين بهذه الافعال النجسة والقبائح واستحضر مختارين الحارات وامرهم ان ينبهوا على اهل الحارات برد المنهوبات وكل انسان يحضر شيئاً تحرر ذاك الشيء واسم محضره ومن اي بيت هو ووضع بكل حارة امين لاستقبال المنهوبات والتفت الى الاعيان والمختارين سوية وقال اريد اعرف جميع اسماء المجرمين اخبر لكم من ان يعم البلا جميعكم فقالوا افندم غداً نحضر لك قوائم بالاسماء التي نتحقق شراكها بالحفظ . خذوا ورقة واكتبوا لي حالاً . امهلنا لغداً نجري ذلك لماذا لم يكن الان والساعة لاننا يلزم نحقق الاسماء ونختبر المشترك والغير مشترك ونعرض لدولتكم بالحقيقة . مناسب غداً سريعاً . وخرجوا كلهم .

وماذا جرى في الغد ؟

ثاني يوم حضروا وقرروا عن نفر نحو ٣٠٠ فقال لا لانه الذي انوجد في حارة النصارة باية الف كما تقولو فا هذا الذي تعرفوني عديده الان . افندم نفحص بعده ونعرض فجاوبهم انتم تعرفوا الكل . لا نعم نعم لا بد

افهم كل انسان دخل الحارة ولهذا الفعل يلزم تحضروني بالورق عن اسامي الجميع وعقد ديوان لحد المغرب لم احد عرف غايته انما ثاني يوم بدا يتظاهر نهيب مرمي بالاسواق شي عديم القيمة فصاروا يجمعوا المتنيين بذلك ويحرروا وثالث يوم اطلق منادي انه بظرف ثلاث ايام ان لم تحضر المنهوبات كلها والا تنكبس البيوت وتنظبط بما فيها فعند ذلك صاروا يوردوا احمال وكل من ورد شي يحرروا اسمه او اسم المتاع واسم البيت الذي اخذه منه فعند ذلك لم عادوا احضروا شي خوفاً من ان تكتب اسمهم بل صاروا يرسلو مع النسا وبذلك الليل امتلت الاسواق وبين البيوت من الشك وكذلك كانوا يرموا بالنهوره فثاني يوم اجتمع كله وجميع الاشيا القيا الغير الثمينة ولا حضر شي من النقود فكرر المناداة وعمل ديوانه وطلب الشي الثمين والنقود وكان كل مجلس يحتمل من ساعة ٦ لحد ساعة ٨ جلسه واحده .

النصارى ينزحون عن الشام

ورابع يوم استدعا الذين في القلعة واستمهل النصارة بالخروج من الشام لبيروت فارسلهم بالف بغل واستاجروا خلافه ودفع الاجرة هنا فورد قفل بحري ثلاثة الاف نفر نصراني محافظ عليه عسكر شاهاني فعندخروج هذا القفل من الشام ضاجت الاسلام وقالوا لا بد من شي وحضرو الاعيان لمقابلة دولته قايلات امانة افندم دولتكم الباين ساع للنصارة كلها تخرج من الشام نعم نعم لماذا افندم هكذا لعل افندم بنية دولتكم علينا بشي . لا يخصكم تعرفو ضميري . لعل الدولة العلية ترغب بنا عكروهاً . ولا لازمكم تعرفو فكر الدولة العلية . افندم ان حسن بنظر دولتكم ان تبقى النصارى ونحن نعطيهم بيوت وخانات لمسكنهم كم بيت تعطوهم مايتين بيت وخانين يا قليلين الادب افرضوا انكم تعطوهم اربعماية بيت واربعة خانات فالناس الذين حرقتم لهم الفين وستماية بيت اهل يساعهم اربعماية بيت وعشرة خانات اذا وقفوا بهم على القدم فقط . افندم نتدبر بهم رويداً رويداً — لا لا فلترسلهم الان الى بلاد الاسلام اهل الدين والعرض كما بين اخوتهم النصاره حتى يتعزوا في بعضهم

وتتجبر خواطرهم من الكل وحتى دبرتم لهم بيوت تكفيهم عوض بيوتهم فسترجعهم . انا اريد المنهوبات جميعها والا افعل ما فعلتموه اريد تعطوني اسماء الناهبين اخير من ان يروح الصالح بجرم الطالح وشدد عليهم وعلى مختارين الحارات تشديداً بليغاً وقد ابقاهم بهذا المجلس لبعد الغروب حتى انصرفو وبعد انصرافهم ليلاً فرق عسكر على جميع بوابات البلد ودايري ما بدورها وذلك في ٢٥ اب سنة ١٨٦٠ ووضع بين كل قراقول وثاني واحد ثالث وارسل اورطة عسكر اوقفها خارج البلد في طريق جبل اللجاه وامرها ان لا تدع مسلماً او نصرانياً ام يهودياً يمر بتلك الطريق وهذا قاله للكل والى اي من تفقد من حرسه احد فهذا الحرس يقع قصاص النيشان ولما اصبح الصباح فان المسلمين عرفت بذلك ووجدت ايضاً بوابات البلد قافلة فدخلهم الرعب والخوف وقافلة افكارهم واستدعى انعقاد الديوان فحضروا وقدمو له قوائم ايضاً ولا زال التكميش مشتغل واللجج بطلب المنهوبات مشدداً ولا زالت حتى الآن تتوارد والديوان ينتصب يومياً للتحقيقات فبعد وصول القفل لهنا وحصولهم على المجابرة من الحكومة اولاً ثم من اخوتهم النصارة وردت اخبار ان دولته رمى تحت اليسق نحو الفين نفر من المجرمين من رتب البكاوات والاغاوات والافندية والتجار والاصناف والدون ومنهم من اهل القرى المجاورة وجارية التحقيقات بشانهم وفيما هم بذلك استأذنوا النصارة بالخروج ايضاً فاجابهم اذا كانوا يريدوا يبقو لان بده يصير عنده عرس ويعزمهم اليه فاسترحموا بالخروج فاذن لهم واحضر قافلة كبيرة ايضاً نحو ثلاثة الاف وكسور ومع انه ثلاثة ارباع النصارة نازحة فصار لكل هولا الحاضرين اللياقة والاكرام وحسن الادارة والمعاملة حيث الحكومة ساعدت في بيوت وسكناً ورتبت لهم مصروف يومي لكل نفر باره ٦٧ يقبض ثم يوم ١٢ ـ ٢٠ والطائفة كانت تقدم لهم ايضاً محلات وماكول ومشروب وكساوي تامة من الراس حتى القدم وجملة انفار منا قائم بخدمتهم ليلاً ونهار (خلي في بالك ان هذا جميعه فوق الفلاحين الموجودين هنا عدداً بليغ) ونرجع بخصوص دولت فؤاد باشا لا يزال بعمله ونهار الاثنين بجمعة السابقة في ٢٠ اب سنة ١٨٦٠ قامت الناس وخرجت للسوق لكن نصارى

فقط حيث الاسلام لم عادت تتظاهر كلياً فوجدت مشانق معلقة بها جملة اناس وكلهم نفر ٦٦ معلقين بالافراد بكل حارات البلد ويذكروا على بعض اسامي وهي مصطفى حواصلي وابنه واخيه وابنه وحسين بيك بن ناصيف باشا المعظم محمود ركاب وابنه تجار عبده الصالح تاجر رشيد الحجار تاجر . والباقي من اهل اسباب وتجار واصناف وكانوا معلقين بالمشانق في كراسيهم وملابسهم وبذات النهار بالساعة التاسعة رمى تحت النيشان بالرصاص ماية واربعة عشر نفر في المرجه من جملتهم مصطفى بيك بن ناصيف باشا المعظم اخي حسين بيك المشنوق بوظيفة يوزباشي العسكرية وابن شديد اغا اغاة الكراد علي بيك ميرالاي كان هو الحارس بحارة النصارة عثمان بيك بين باشي الذي كان ايضاً بنا جينا وحضر وهلة الشام بهندي افندي دعاس والباقي انفار عسكرية وباشي يوزق من الاهالي وانه كان يوماً شريراً على الاسلام الذي بقي الصراخ والنواح ماي البلد من كل البيوت لان ولا حارة الا وفقد منها بهذه المعمة انفار وانه كذلك دولته خشب نحو اربعماية نفر وسيرسلها الى الاستانة لومان موبد . ثم امر اسلام حارة القناوات ان تفضي البيوت كلها لسكنى النصاره وقد انتقل منهم اليها نحو اربعة الاف كما بلغنا وسينتقل ايضاً ثم بوسطة يوم تاريخه ورد خبر ان دولته قبض على جملة ذوات وعلما منهم الشيخ عبدالله الحلبي شيخ الاسلام مفتي افندي نقيب افندي الاشراف محمد بيك عظم عبده بيك عظم الشيخ محمد يحاوي حسبي افندي وغيرهم [1] ومشير باشا الشام طلع بذاته الى

١) تصور هذا الاستبداد الظالم . كان مفتي الشام وقاضيها واعيانها الموظفون في المجالس قد اوعزوا الى الحاكم التركي بواجب « ضرب المتمدي » . فان قاموا بوظيفتهم لماذا التنكيل بهم ؟ – جاء في « حادثة الستين لمحمد ابي السعود الحسيب » (راجع يوسف العش : مخطوطات الظاهرية ص ١٤٥) ما نرويه بحرفه . قال (ص ٥٤ في قفاها) نعرض الى من نظر في هذا المجموع من سادة الاسلام الذين في عصرنا هذا وبعد حين من الصور الى يوم ينفخ بالصور يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا عذر ولا جاه الا اذا الله تعالى من قلب سليم في كل ذل وانكسار ونفع بل ضر في الدنيا الى احد من مسلم وذمي كان من كان من مخلوقات الله تعالى حتى الحيوان له حق علينا يوم الله تعالى وقال الله تعالى ولا يظلم ربك احداً وبعده لما كان سنة ١٢٧٦ [١٢٧٧] في شهر ذي الحجة ٢٢ يوم الاثنين بعد الظهر الساعة ٧٤ وقد صارة الحادثة المدهشة في الشام التي شاع ذكرها ضرب بل امثال مع

احدى القرى تسمى جيروبد نهبها وحرقهـا وسلك شيخها وبعض من اهلها ورجع بالحفظ والسلامة وبذات يوم الاربعة خرجو المخشبين من الشام ووصلو لهذا نهار تاريخه مساء وعددهم مايتين وستة وثمانين الذين وصلو ونزلو حالاً للبحر بمركب حربي عثماني وكان وصله صباح تاريخه خمسة وسبعون نفر من اكابر الشام دخلو ونزلوا البحر وقليـل الذين شافوهم وكان سبقهم برطيل الكي يخلصوا من كثافة وثقالة رفقاوهم الذي وصلو مساء ومع ذلك وبهم كم واحد مرضوفين طيب ومنهم اثنين افندية والباقي من الدون.

التعرضات على النصارى

قبلاً قد سمعنا اظنه اكيد من جملة السنه ان دولته فؤاد باشا قبلما سلك الاعيان المذكورين اخيراً استدعاهم الى جمعية وسألهم قائلاً ما قولكم والحكم

نصارة دمشق الشام وصار الذي صار حتى اجتمع من كل فج وعميق من دروز وصبريه (وتيامنه) ويهود ومتاولة وارفاض وتور وعبادين الشمس والقمر (وانار) ويزيديه وعرب ومن كافة الملل المشهورة في بلد صورية الذي القو الفعل القبيح مع اشقياء الموجودين في الشام من المدانسين بل الشام الذين ليس لهم ذكر من قبلي هذه الحادثة . . . [وقال الحسيبي (ص ٩) لما أخذت زحلة بالسيف] كثير ناس [في دمشق] زينو من الحارة حتى في القناوات زينو وارسل والدي وطفا القناديل وحيط على شيخ الحارة وضربو

وجاء (في ص ٩ بالقفى) بعد ذكر الحوادث المفجعة « واما ما كان من الداعي كنة في سوق الاردان وبعده توجهت الى حارتي القناوات قعدت قدام قهوة البيك وقعد معي شيخ الحاره اسمه راشيد وصار كل من حضر اخذ معه صاج [سلاحاً] نمبط عليه ونأخذ صلحه واوضعه بالقهو . . . فاكان عندنا كاتب يقال لهو ابو باسيل انطون الباشا فاحين واني بدا في البكا وبوس اليدين والرجلين على جبيان ولدُ وعيالو فاعند ذلك اخذ[ت] صلح [سلاحاً] وطلعت من الدار ومعا اهل الحارا وتوجهنا الى ان وصلنا عند بيت القادري [عبد القادر الجزائري] وجدنا عالم مـل التراب . . . وبعده دشرت ورجعت معي اكثر من عشرين نفر ومن جملتهم اولوتلو . . . والله تعالى مطلع وشهيد بعدلي حتى ترلة ولى دخلت يـد الى النصاره ولا حارة النصاره ولا اذيت نصراني ولا مسلم (ص١٠)

« اما من اهالي العرض فعند ذلك صارو يبادرو في جلب النصاره وجيبهم في بيوتهم وعيالهم . . . وكانة النصارى الذى سلمو اول يجلبوهم الى دار شيختنا عبدالله الحلبي زاده يوجد عند المذكور كل يوم نحو من الف نفر وبعده يأخذوهم شيء الى القلعة شي الى بيوت المسلمين وكان عبدالله بك ناصولي باشا مبادر في تخليص النصاره وتوصيلهم الى القلعة وكان

شرعاً وغرماً في جزاء القاتل فقال القاضي والباقون جزاء القتل وما تقولو عن هاتك العرض وسابيه . كذلك افندم . وماذا يكون السارق والناهب ومسبب الاضرار . تعويض الضرر والجزا بنظر ولات الامور . مناسب . اعطوني اعلاماً شرعي بذلك فحرر له ملا افندي بذلك شرعاً . وانت يا مفتي افندي افتي في عليه . فافتى له وعند ذلك قال دولته اما الدم فهو لي وجزاه لي بوجب فرماني هذا العالي واظهر الفرمان وقرره فاذا انا انتقم لكم . واما العرض والسبي فلمن هو اجابره للسلطان افندم مناسب فالذين ارتكبو هذه الجناية انا سارسلهم لمولانا السلطان وجلالته ياخذ حقه منهم واما السلب والاضرار نساخابركم بها في ضميري انا اريد منهوبات النصارى ترجع لهم وانتم يا اهل الشام ما رجعتم من المايه واحد اريد ان ترجع لهم حاراتهم كما كانت او تعطوهم نظيرهم بما يرتضو به وبيان لي انكم لستم معتكرين بشي من ذلك انتم تعرفو ان اصحابنا وجيراننا الفرنساوية قد وصلو لهذه البلاد لاجل اخذ

دايم في بيتو اكثر من من خمسة مايه نفر رجال ونساء وكل يوم المذكور يركب ومعه جملة انفر يحافظنه على خلص النصاره . . . واما ما كان من مصطفى بيك الحواصلي حيز كان اخذ من طرف الحكومة مايه كيسية عالبج كثير يوم المصلحة الى حد الساعة خمسي بل ليل لم كان يصير شي من طرف المذكور حتى صار له مشقا تامة من طرف الاشقيا واكادوا ان يقتلو المذكور وبعده الانفار الذي كانوا معه طلعو من يدو وصاروا مثل باقي الاشقيا يفعو ولكن دخل الى دار المذكور نصاره كثير وارسلهم الى القلعة [ص ٩٠ بالنفي] . . . استقام البغي فينا سبعة ايام يا لها من سبعة سود قتام الى اهالي البلى المدلسين بالشام من سايز الامصار الذي روحو اهالي المرض في بنيهم سدق من قال الرحمى فحصصا والسيل فيهم

[وجاء احد الرعاع يقر اهالى القنوات على الهجوم] فاعند ذلك بلغ هذا الخبر الى السيد الوالد السيد احمد افندي حسيبي زاده فقام وبادر في ابنا اهالى القناوات (ص ١١) واما ما كان من احمد باشا يوم الخميس في ٢٣ ذلحجي عمل مجلس [وتكلموا باس النصاره في القلعه « ومرادهم قتلهم »] فعند ذلك قام سيد الوالد وقال هذه المصلحة على لحانا واحدانا قايم ارحل من كل الشام والذي يرحل معي والى لجيم . . . وقام هذا الحال الى حين دخل الوزير المعظم محمد باشا وكان دخول المذكور في بياض وبعده قر الفرمان في كل ضحك ولعب وحين تم قراية الفرمان ضربو قنلاشي لي اجل ضرب المدافع كجرى العاده . . . وبعده قد طلع الى بيروت وزير يقال له فؤاد باشا لحل حادسة الشام والجبل وارسل المذكور مكاتيب الى وجه الشام كافة تشكرلهم على ما جرى منهم وعن ابنا المرض من حيز النصاره . (ص ١١ بالنفي)

حقوقهم ويمكني ان اكون واسطة بينكم وبينهم وامنع قدومهم اليكم بشرط انكم تبنو لهم محلاتهم او تفرغو لهم بيوتكم التي ترضيهم او تعطوهم ثمن بيوتهم وثمن مساوباتهم وكلما تجمع من المنهوبات خذوه انتم وهذا كله اذا هم ارادوا وان انتم لم تريدوا اقول ما اقوله لكم فانا ساجري حقوقي هنا الباقية والذي يخص مولانا ارسله لعنده واجمع العسكر الذي عندي واخذ قدامي بقية الرهايا والذين قادمين لاخذ الثار هم ياتونكم بشان ذلك وتتصافوا معاهم على وجه فجاوبوه افندم كلا الامرين مخطر ونحن لا قدرة لنا على ذلك جميعه . لا اعرف افتكروا وجاوبوني . هل تريدو اكون بهذه الواسطة او ارفع يدي . امهلنا لنفتكر ثلاث ايام . لا ثلاث ساعات فقط . امان افندم يومين . لا ثلاثة ساعات فقط . قوموا واجتمعو مع بعضكم بجمع خصوصي وافتكروا كيف تجاوبوني قطعي وانا منتظركم فقاموا . وبعد مرور ثلاثة ساعات طلبهم فحضروا . فسالهم ماذا افتكرتم عساه يكون خيرًا لكم . لا بل ويلًا انتم سقتم لذاتكم جزاء جميل . انا المقدر كاين لا ينمحي . لا تلقو بايديكم الى التهلكة الخير من الله والشر من الناس السنن والشرائع هم سراجنا المنير الذي ينجينا من الزلق والعثرات . نعم افندم . خمسين نعم افندم ماذا افتكرتو . افندم ان النصارى غدًا يطلبو منا مبالغ لا تقدر علينا الا الملوك . لماذا . الذي يكون رايح له بالف يطلب عشره . هذا لا يمتحن افندم يصير مجلس كرمسيون ان حسن باشر دولتكم وكلمن المدعى بشي يعطي عنه البرهان والاثبات . ما شا الله لعل الواحد منكم كلما في بيته ويملكه هو خباه بشخصه ام بعضه ميراث من الله وبعضه من جده او اقرباته . نعم افندم . فاذًا والحالة هذه اي شهادة واثبات يقدمو غرماكم . اذا عشرة شهود نظروا انسانًا كسر صندوق اخر ومد يده اليه وشال ما امكنه ووضعه في جيبه او جرابه او اخرجه وكان الذي شاله قيمته الف غرش . وصاحب الصندوق ادعى ان بصندوقه مية الف غرش . والشهود تشهد ان فلان كسر صندوق فلان ونظرناه يشيل منه بيده فدعوى من الثابتة جاوبوني . دعوى صاحب الصندوق افندم . هذا هو حالكم وحال النصارى معكم فالذي

يدعوه عليكم ثابت فقط واحدة تلزمكم وهي كالمن يقور عن ثمن داره ومفقوداته يحلف يمين على اصول ديانته ويتقيد بذلك . ربما افندم يحلفون كذباً لاجل مضرتنا وتعريتنا فوق القدرة انا لا اظن . نعم افندم .

الدية لله

كما تظنوا بانفسكم ظنو بالناس وهم اهل كتاب وشريعة ومع ذلك فالدين لمن . جاوبوه لله افندم . واذا حلفوا كذباً فهم لله . افندم هذا شي بده ملك حتى يقدر يقوم به لا تقولوا ملك ولا سلطان لان الملوك والسلاطين ما فعلوا ذلك . انتم ملزومين به . افندم نحن لسنا مذنبين واذا الجهال والحكام اذنبت ماذا يعنينا . انتم كلكم شركا . انتم كلكم فعلتم . انتم كلكم سقطتم واعذاركم غير مقبولة عندي ولا عند مولاي السلطان ولا عند اصحابنا وجيراننا الفرنساويه وانتم لازم تتاكدوا انني معاملكم بالشفقة فاحسن لكم ان يكون كل قضاكم من يدي والا ياتون اليكم المستعدون .» (انتهى)

الى متى تنقضي بامدة الزلات

تقطعت حلقات السنين العديدة بسبب الكوارث والنكبات التي حلّت في البلاد من جراء الفتن والحروب والزلازل والامراض فحالت دون اجتماع الاخوة المتواصل اسبوعاً وانقطعت من ثم عنا اخبار كثيرة كان يفيدنا ان نطلع عليها لما كانت تستمد من الازمنة التي ذكرناها اهمية خاصة .

على اننا نستعيض بشيء نقصنا في هذه الناحية باخذناه عن وثائق غيرها منها ما جاء في مجموعة حوليات[1] جمعية الرسالة بين السنة ١٨٤٤ — ١٨٦١ في تحرير السيد باسه رئيس دير حلب الى السيد بوسون مساعد الرئيس العام في ١٤ تموز (ولم يأت ذكر السنة) قال عن زمانه ان الاخويات كانت مزدهرة واخصها اخوية القربان المقدس وان روح الاتفاق بينها كانت تتجلى باجمل

1) Annales de la Congrégation de la Mission. T. 190, année 1844-1861.

المظاهر . ثم استطرد الى الكلام عن احد الكهنة وقد غرّه الشيطان فجحد ايمانه ثم تاب وسافر الى لبنان.

واذ ان ذكر ذلك الشك العظيم لم يزل حيًّا بين المسيحيين في حلب نظم بعضهم قصيدة زجلية طويلة حفظها الناس وتسامروا على تلاوتها فوصلت الينا وفيها يفيض قلب التائب بعواطف الاسف والندامة فيندب حالته التعيسة بشعر عامي بسيط نرويه على علاته ليحفظ من الضياع وقد يحل محله الطبيعي في سلسلة الوثائق.

هي قصيدة مزدوجة البيوت كل بيت منها يبتدىء اوله بحرف من الاحرف الابجدية لذلك سميت الالفية وقد لا تخلو من بعض الحشو ليتكمل بها عدد الاحرف التسعة والعشرين لكنها تصور صورة صادقة حالة ذلك المسكين الذي تدهور من اعالي الهيكل ثم نهض وعاد متذللًا مكفرًا عن ذنوبه . اليك الشعر وقد علقنا على كل حرف من الابجدية خلاصة المعنى في البيتين:

ألفية القس

الالف ذكر الموت

الى متى تنقضي يا مدّة الذلّات ابكي على ما مضى واندم على ما فات
يا نفسي كوني حزينة واتركي اللذات وتذكري بالموت من هو الذي ما مات

الباء وخز الضمير

بالله اتركوني حزينًا ابكي بكا المحزون واعطي دموعي ليوم الآخرة يكون
وان انصف الدهر اقول للقلب يا محزون ابدات تقل الصدى بالجوهر المكنون

التاء فخ التجارب يصطاد القلب كالعصفور

تهاونت يا قلب من هو الذي ارماك كشبه طير وقع واصطادته الاشباك
يا من يريد الخلاص كن منتبه يا ذاك الفخ منصوب اياك من الوقوع اياك

الثاء الرجاء بعد اليأس

ترى لي مغفرة من بعد ذلاتي ... ولا انسان جرى اسه مثل جرياتي
لاني رأيت منامات عجيباتي ... من بعد الشدة مفاتيح الفرج تاتي

الجيم الاقرار بالمعاصي

جار علي الزمان وحطني ندمان ... لارتكاب المعاصي في خفا واعلان
يارب اغفر وسامح اي ذنب كان ... واغفر ذنوبي انا المسكين يا رحمان

الحاء تبعات المعيشة

حدتُ عن درجة مهدي وميثاقي ... والصبر مني فني مع ضيقة اخلاقي
من بعد ما كنت مع جملة ارفاقي ... جاء التعب لاخلاقي وزادت اشواقي

الخاء لم يرتدع لرادع وجحد دينه

خالفت قول عزول حين انهاني ... وردّني عن طريق المعاصي قلت عاداني
ليت شرب الراح بين خلاني ... سبيت عن مذهبي وفارقت اديانى

الدال دود الصبر لا يموت

دارت علي دوائر كشبه درفيله[1] ... وضاع عني شعاع النور في ليله
من بعد حسن التقى بليت بالحيره ... لا حيره باحكام الله لا حيره

الذال غيره يفرح في الاعياد اما هو فيكتئب

زيارة الانسان عند استقرار العيد ... مثل من لاقى عدوه في يوم الوغى صنديد
يصوم يصلي ويبدي النوح والتعديد ... يفرح اذا شاهد الاصدقاء بيوم العيد

الراء كأس العالم سريعة العطب

ربي خلقني لاعبده بالبر والتقديس ... وابعد عن الخطا ولا اسلك مسلوك العيس[2]
ياويل من قد حكم في يده التمكيس ... تقاضيت قول الله واتبعت قول ابليس

(١) حيلة
(٢) الابل

الزين مصباحه ينطفئ كمصباح العذارى الجاهلات

زليت زلة ولاحد ذل مثلما انا انذليت ولا احد داري مثلما انا داريت
رفاقي جاهدوا وانا الشقي تخليت نامت مصابيحهم وانا عدمت الزيت

السين يخاف يوم الدينونة

سلاسل الحزن هيؤوها لتعذيبي يا مكتر همي ونوحي وتعديدي
من بعد ما كانت ليالي الفرح عتيدي باي وجه اتقي انا وسيدي

الشين يشمت به من كان ينصحه فلم ينتصح

شمتت بي عزولي وخلاني نضحني دهري ما بين اهلي واسيادي
من بعد ما كنت شبه السبع في الوادي قد غرني الدهر وفصل بين فخري واجادي

الصاد شعاع الامل ينبثق من الصلاة

صرخت الف آه من حزني على حالي لما وقعت انحات جميع قواي ومفاصلي
كل من يصلي اسأله بشوق يدعي لي عسى بدعواه يرثي الله لحالي

الضاد الزمان يؤدبه

ضاق ذرعي من تطعيم الدهر مرارته قد غرني الدهر وذقت الزمان وطراته
سبحان من ذكت له الدنيا بعملته ان انصف الدهر لا تأمن لغدراته

الطاء ما كان اسعده لو ثبت في دعوته

طاب وقادي وارتفع عزي ونصري رصفا لي الدهر اني دخلت الى قصري
لو كنت اعلم بهذا الوقت ابعدوا يسري ما كان بقا هذا القضا عليّ يسري

الظاء يود لو اصبح منسياً

ظلمت بقلتي يا دهر يا خوان يا اللي نزلت الحبايب بعد عز وشان
ان سألوك عن حالتي في اي شيء كان دع عنك كلام الذي سابق كان

١) الحبكة ما يشد به الوسط

العين يطلب الصلاة

عذّبوني المدى واكثروا مصائب احزاني فضحني دهري ما بين اهلي وخلاني
يا اعز اصدقائي استودعوني الى الله لارتدّ الى ايماني

العين كان كالراعي الصالح فصار كالاص

غُبت لما علا حملي على الاعناق قد غرقني الدهر وقمت انا بالأحباك[1]
سبحان من ذلت له الدنيا من الافلاك شبه من دخل من الباب وخرج من الطاق

القاف الشرور عواقب الذنوب

فعايل السوء ولدت علي الاحزان احرمتني الجنة واورثتني النيران
اش عاد حالي بعد ما صرت هوان بقيت حزيناً ونسيت لذة الغفران

القاف ابن كان واين صار

قد كنت قساً وكان لي كل يوم قدّاس طفيت يا اما جد الناس وشابهت بالناس[1]
لما تداخل ضميري الفكر والوساس ضيعت عقلي واصبحت اشقى الناس

الكاف يعود الى التوبة

كانت افعالي مشرقة كالنور وكنت اخدم وقلبي ممتلئ سرور
يا قلب ارجع الى ربك بلا فتور بقيت حزيناً ونسيت فيج النور

اللام يعود الى ربه

لو كان قلبي يطاوعني لاصرخ آه ما كان يحمل من الاثقال ما يكفاه
يا قلبي ارجع الى ربك ولا تنساه ترضي الملك وتعمل بما يرضاه

الميم يذكر الوزنات في انجيل متى ٢٥

من كان داعي لذاته يحرم لذّاته يربح الغفران من كثر حساته
ويل الذي ما ربحت وزناته يطلب من الله غفران ذلّاته

---

١) دابة وهمية يزعمون انها على شكل الانسان (المنجد)

النون يستنجد بصلاة اخوته الكهنة

نوحوا عليَّ يا جميع اهلي وابكوني وبعد ما كانوا يجوا عندي ويهنوني
بالله عليكم يا قسوس النصارى تعينوني انا الذي كنت بينكم اصبحت مجنون

الهاء الندامة والبكاء

هذا الذي صابني من سوء افعالي ابدلت التراب بالجوهر الغالي
اين بقي عقلي لابكي على حالي ذليت ذلة ما كانت على بالي

الواو الاعداء الثلاثة الجسد والعالم والشيطان

ويحي على حالي ما كان هذا في قصدي لكنَّ افعال السوء ضيعت رشدي
كيف العمل اعداي الثلاثة بقوا ضدي ياخيبة المسعى يا نفس ان لم ترتدي

اللام الف يوم الحساب

لابد ما يتجلى الحق سبحانه على الخلائق بانواره وبرهانه
وينصب الحق يوم الحشر ميزانه ماذا يجاوب الذي ضيع ايمانه

الياء التوبة والثقة بمراحم الله

يا نفسي قومي اشتري من موضع البقي واستغفري ربك من بعد ما اذنبتي
لانه رحوم وحنون ويردك موضع الذي كنتي

(له صلة)